

المسلمون

■ نشرت ، مجلة الدراسات السوفيتية Journal of Soviet Studies ، التي تصدر عن جامعة لندن دراسة حول المسلمين في الاتحاد السوفيتي للدكتور . هارولد دوبسون . أستاذ العلوم السياسية بجامعة لندن ، ورئيس تحرير مجلة الدراسات السوفيتية . وفيما يلي ترجمة للنص الكامل للدراسة .

إن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية هو الدولة الخامسة في العالم من حيث عدد المسلمين ، إذ يبلغ عدد المسلمين السوفيت حوالي خمسين مليون نسمة . ويأتي الاتحاد السوفيتي في الترتيب الخامس بعد أندونيسيا وباكستان والهند وبنغلاديش ، ولكنه يتقدم على سائر الدول الإسلامية الهامة ، مثل : مصر وإيران والسعودية وسوريا والعراق وغيرها ... وفي حين شهد عدد السكان المسلمين السوفيت مؤخراً تغييراً جوهرياً ، فقد كان هناك داخل حدود ما يعرف اليوم بالاتحاد السوفيتي جماعة إسلامية كبرى وهامة وجدت منذ أكثر من ألف سنة ؛ فقد دخل الإسلام شرقي القوقاز مع الفاتحين العرب في القرن السابع ؛ وخلال القرن نفسه امتد الدين الجديد بفضل الجيوش الإسلامية إلى مختلف مناطق آسيا الوسطى . ■■

فيهم مجموعة تدعى ، الشيوعيون الوطنيون المسلمون ، هذه المجموعة (وإن لم تكن ممن يقيمون الشعائر الإسلامية) أيدت الثورة البلشفية اعتقاداً منها بأن الزعماء السوفيت سوف يمنحون الاستقلال للشعوب الإسلامية في القوقاز وآسيا الوسطى ، ذلك أن لينين قد وعد بذلك ، بيد أن المسؤولين السوفيت قاموا بمصادرة أكثرية الممتلكات التابعة لإدارة الشؤون الدينية ، مما حرم المساجد والمدارس الإسلامية سبل البقاء المستقلة ، فقد جرى إلغاء المدارس الإسلامية (الابتدائية والثانوية) إلغاء تاماً ، وكان يقدر عددها بشمانيه آلاف مدرسة قبل سنة ١٩١٧م ، كما جرى تدمير المساجد بالألاف بحيث لم يبق قائماً منها عام ١٩٤٢ سوى ألف وثمانمائة مسجد من أصل ستة وعشرين ألفاً قبل عام ١٩١٧م . وقد خُفّت حدة الهجوم خلال الحرب العالمية الثانية . وفي مطلع الستينيات كان عدد المساجد العاملة في الاتحاد السوفيتي قد انخفض إلى اربعمائة مسجد ، أما اليوم فقد ارتفع عددها قليلاً نتيجة للقرار الذي اتخذه ليونيد بريجينيف ، الزعيم السوفيتي الراحل ، بوضع حد لتدمير الحضارة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي ، وقامت السلطات السوفيتية بترميم أهم صروح الحضارة

المتواصلة حتى انهيار الامبراطورية الروسية عام ١٩١٧م . وكان القيصرية الروس تارة منتحيين وطوراً طغاة إزاء تزايد عدد المسلمين في الامبراطورية . ولكن القوة العسكرية التي كانت تمتد داخل الأراضي الإسلامية في فولغا الوسطى والقوقاز وآسيا الوسطى لم تتمكن ، في أي وقت من الأوقات ، من إعاقه انتشار الدين الإسلامي .

ولم يتوقف انتشار الإسلام إلا عندما جاء لينين إلى السلطة عام ١٩١٧م وفرض الحكم الماركسي - اللينيني على الأراضي الإسلامية من الامبراطورية الروسية . وطوال فترة العشرينيات والثلاثينيات توجهت جهود لينين وخليفته على رأس الدولة السوفيتية ، جوزيف ستالين ، إلى تغيير مقومات المجتمع الإسلامي وفق التعاليم الماركسية - اللينينية .

الإرهاب الشيوعي :

وابتداءً من العشرينيات ، وبالتحديد بعد عام ١٩٢٨م ، شن الزعماء السوفيت ، حملة إرهاب ، ضد جبل بارع من المفكرين المسلمين في جميع المناطق السوفيتية الإسلامية ، جرى خلالها تصفية عشرة آلاف شخص بمن

ومع حلول القرن العاشر كان جميع سكان الأراضي التي يقطنها اليوم المسلمون السوفيت قد تخلوا عن التأثيرات البوذية والنصرانية النسطورية ، واعتنقوا الدين الإسلامي ؛ وقد اخذ الإسلام في الامتداد ضمن تلك الأراضي واستمر كذلك حوالي ثلاثة عشر قرناً إلى أن قامت الثورة البلشفية (الشيوعية) عام ١٩١٧م .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن هذه الأراضي الإسلامية لم تكن ركناً قسماً من العالم الإسلامي الكبير بل كانت مركزه ، فالأراضي الإسلامية السوفيتية لا تزال حتى اليوم تحتوي على بعض أشهر المدن الإسلامية ، مثل : سمرقند ، وطشقند ، وبخارى ؛ والمسلمون الذين ارتبط تاريخهم بهذه الأماكن الإسلامية وغيرها هم من أكثر المسلمين في العالم مدعاة للاحترام والتكريم ؛ وليس ثمة شك في أن الحضارة التي تأسست هنا بقيت لقرنين عديدة جوهر الدين الإسلامي .

محاولات الإخضاع . . .

وقد بدأ الروس إخضاع الأراضي الإسلامية الواقعة إلى الشرق والجنوب في أواسط القرن السادس عشر ، واستمرت ضغوطهم

ففي الاتحاد السوفياتي

الوسطى) غنية بها، وفي الأوضاع الاجتماعية العادية يسعى الفاضل من اليد العاملة للعمل في الأماكن التي تعاني العجز عبر عملية الهجرة المعروفة: ولكن بالنسبة للمسلمين السوفييت فإن الهجرة هذه لم تحصل، لا بل اليوم وأكثر من أي وقت مضى، فإن نسبة متزايدة من المسلمين يعيشون في مناطقهم الأصلية خاصة تلك الواقعة في آسيا الوسطى.

ولا يخفي المخططون السوفييت قلقهم إزاء

أظهروا المسلمون في الاتحاد السوفييتي من الناحية الديموغرافية، إزاء الفئة السلافية المسيطرة، تترتب عليه نتائج هامة بالنسبة للدولة السوفييتية سواء في الوقت الحاضر أو على المدى البعيد: فمن ناحية، أصبح المسلمون في الاتحاد السوفييتي ذوي أصالة قومية، فعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الحكومة السوفييتية لزراعة الكادرات الروسية في المراكز الهامة ضمن حدود المناطق الإسلامية، فضلاً عن توطين أعداد

الإسلامية خاصة تلك الواقعة في آسيا الوسطى.

تكاثر المسلمين السوفييت ...

ويوجد اليوم، في الاتحاد السوفييتي، اثنتان وأربعون قومية تتألف كلياً أو جزئياً من المسلمين؛ ويتراوح حجمها بين الأوزبكيين الذين يشكلون بعددهم البالغ ثلاثة عشر مليون نسمة [ثالث أكبر قومية في الاتحاد السوفييتي - المترجم] وطائفة الشالاس الصغيرة التي يقل عدد أفرادها عن ألف نسمة، أكثرهم من السنة الذين يتبعون المذهب الحنفي، شأنهم في ذلك شأن الأكرية الساحقة من المسلمين؛ ومع ذلك يوجد في الاتحاد السوفييتي عدد لا بأس به من المسلمين الشيعة، خاصة في جمهورية أذربيجان، ويزيد عدد هؤلاء - حسب إحصاءات عام ١٩٨٠م - على ستة ملايين نسمة ...

وبخلاف القوميات الأخرى في الاتحاد السوفييتي حيث بقي معدل النمو السكاني صفراً أو قريباً من الصفر، فإن المسلمين في الاتحاد السوفييتي يتكاثرون بنشاط كبير، فبين عامي ١٩٥٩ و١٩٧٥م، وهما العايمان اللذان جرى خلالهما إحصاء شامل للسكان في الاتحاد السوفييتي، بلغ معدل النمو السكاني في الجمهوريات الإسلامية ثلاثة أضعاف معدل النمو في روسيا، ومرتين ونصف المرة المعدل العام للقوميات في الاتحاد السوفييتي كافة. وقد أكد الإحصاء الأخير عام ١٩٧٩م على أن هذا المعدل لا يزال مستمراً، بل هو يتسارع، وتشير بعض التوقعات السوفييتية إلى أن عدد السكان المسلمين في الاتحاد السوفييتي سيصل سنة (٢٠٠٠) إلى حوالي مائة مليون نسمة، أي أكبر بكثير من عدد السكان في باكستان في الوقت الحاضر.

ويرجع السبب في ارتفاع عدد السكان المسلمين بصورة أساسية إلى ارتفاع معدل الخصب لديهم؛ ولكن قرار الإكثار من الأولاد، بالنسبة لبعض المسلمين، هو قرار مدروس تبرره القناعة [لديهم] بأنه، يمكن تخفيف حدة السيطرة الروسية على مجتمعهم بقدر ما يزداد عددهم، وغني عن البيان أن «البلاء الحسن، الذي

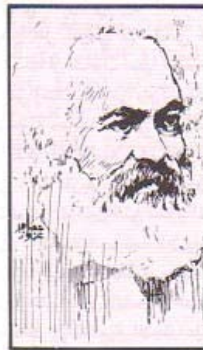


● لينين ●



● ستالين ●

● ماركس ●



● استعراار القدر بالمسلمين بعد وعدهم بالاستقلال ... ●

هذه الظاهرة التي تعني ضرورة القيام بتوظيفات اقتصادية في آسيا الوسطى على حساب المناطق الأوروبية في الاتحاد السوفييتي، وذلك للاستفادة من وفرة اليد العاملة في منشئها، وأكثر من ذلك، فإن الاستفادة من ذلك الوضع تقترض أموراً عدة، منها: القيام بتوظيفات ضخمة لتحويل الأنهر إلى آسيا الوسطى بهدف توفير المياه اللازمة للصناعة والزراعة، وبالنسبة للكركميين فإن تطوير مناطق آسيا الوسطى ينذر بارتفاع خيالي في النفقات، على الأقل في المدى القريب، كما أنه في الوقت نفسه يعرض الصناعات السوفييتية الواقعة في المحيط الإسلامي إلى لا مركزية غير مرغوب فيها، فضلاً عما قد تتعرض له [هذه الصناعات] من القذائف الصاروخية الصينية في حالة نشوب حرب.

ومن ناحية ثالثة، فنظراً لكون المجموعة السكانية الإسلامية تزداد شباباً يوماً بعد يوم، أي: أن نسبة أكبر منها تقع ضمن مجموعة السن من ١٦ إلى ٢٥ سنة، وكون المجموعة

كبيرة من الروس داخل المناطق الإسلامية، فإن النسب السكانية تميل اليوم لمصلحة السكان الأصليين إذ أصبحوا يشكلون النسبة الكبرى من السكان في الأراضي التي يتواجدون فيها، وذلك على حساب السلافين المستوردين.

حركة اليد العاملة ...

وليس ثمة شك في أن هذه الأصالة القومية ذات نتائج هامة على المدى القريب والبعيد، بالنسبة لقدرة موسكو على السيطرة على تلك المناطق في الظروف الصعبة. ومن ناحية أخرى، فإن نمو المجموعات الإسلامية السوفييتية على هذا النحو يضيف بعداً هاماً إلى المشكلة العامة في الاتحاد السوفييتي، وهي مشكلة حركة اليد العاملة، إنها مشكلة معقدة ويمكن إيجازها على النحو التالي:

إن المناطق الأوروبية من الاتحاد السوفييتي تعاني من نقص حاد في اليد العاملة، بينما المناطق الإسلامية (خاصة تلك الواقعة في آسيا

السلامية أخذة في الشيخوخة . فإن نسبة أكبر من الشباب الذين في سن الجندي سوف تأتي بالتأكيد من صفوف الشعوب الإسلامية . بينما سيقل عدد الروس وغيرهم من الشعوب السلافية ممن كان يعتمد عليهم في هيكلية الجيش السوفييتي لتوفير الضباط والخبراء الفنيين والجنود الذين يمكن الاعتماد عليهم سياسياً . وتتوقع الدوائر السوفييتية ، في أواسط التسعينيات ، أن يأتي واحد من كل ثلاثة شباب في سن الجندي من إحدى الجمهوريات الإسلامية .

السياسة البلشفية . . .

أدخل المخططون السوفييت مفهوم الدولة الحديثة في شعوب لم ترنفسها في هذا الوضع من قبل . وتم ذلك على النحو التالي : خلق تسميات سياسية عبر خطوط قبلية ، ثم ابتكار أجيال جديدة وآداب جديدة وأجهزة ومؤسسات أخرى مثل : الأكاديميات والجامعات ، وهويات جديدة مثل : الأوزبك ، والقيرغيز ، والتركماني ، وجنسيات أخرى عديدة لم تكن موجودة من قبل في آسيا الوسطى : قبل هذا كانت هذه المجموعات تعتبر نفسها مسلمة ، أولاً وأخيراً وتخضع هويتها القبلية لهذا الوعي الديني الجارف .

وبعد حوالي خمسة وستين عاماً من الحكم السوفييتي اكتسبت هذه الميزات الوطنية بعض القيم التي قد تزيد ، في الواقع ، من توقعات الزعماء السوفييت ، فعل سبيل المثال : ثمة شعور حقيقي بالاهداف الوطنية بين الأوزبكيين ، وهناك شعور وطني نام معائل بين المجموعات الإسلامية الكبيرة الأخرى ، مثل : التتار والتركماني .

إن ما يسمي الزعماء السوفييت إلى خلقه فعلاً من المسلمين في الاتحاد السوفييتي ومن جميع الاقليات الأخرى هو ، الرجال السوفييت الجدد ، وليس القوميون الجدد المرتبطين بشعوبهم لا بالدولة السوفييتية : وسيكون هذا النوع من الرجال تجسيدا لمثلهم الشيوعي الأعلى : وعلى وجه الخصوص ، سيكون هذا النوع من الرجال مشعباً بروح الوطنية السوفييتية مما يعني أنه سيضع خدمته للدولة السوفييتية في مركز الصدارة .

ووفقاً لهذا المفهوم ، فإن ولاء الفرد لأمته سيعتبر مخالفاً لولائه للدولة السوفييتية ، وقد عملت السلطات السوفييتية كل ما في وسعها للقضاء على الشعور القومي في كل مكان من الاتحاد السوفييتي .

يجري تكوين ، الرجال السوفييت الجدد ، بأسلوب غاية في التعقيد ، تتناول الخطوة الأولى فيه تجميع الشعوب السوفييتية [بمن فيهم

المسلمين - المترجم] وتتناول الخطوة الثانية دمج هذه الشعوب .

و ، الدمج ، . حسب التعبير الروسي المستخدم . يعني : . الهضم البيولوجي . . . ويبدو واضحاً مما يكتبه السوفييت أنفسهم حول هذا الموضوع أن التجميع والدمج يعنيان ، في الواقع ، هضم حضارات الاقليات وصهرها في بوتقة الحضارة الروسية . . وبهذه الطريقة يتسنى للروس تأمين السيطرة على الاقليات : وفي أول خطاب له بعد تسلمه السلطة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢م ، أكد يوري اندروبوف ، السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ، التزام حزبه بدمج القوميات بالعنصر الروسي المسيطر ، والقيام بكل ما من شأنه تحقيق هذا الهدف .

فشل المخطط البلشفي . . .

إن غرس الوعي الوطني بين المسلمين السوفييت لم يقض على الوعي الإسلامي كما خطط له أن يفعل ، ذلك أن شعوب آسيا الوسطى والقفقاس تحافظ على إسلامها حتى ولو لم يتيسر لها ولوج المساجد طيلة حياتها ، ولكي نفهم هذه الظاهرة يجب أن نذكر أن الإسلام هو أكثر من مجرد دين رسمي ، إنه طريقة حياة ، مجموعة من العادات والتقاليد والقوانين التي تنظم أمور الناس ، وإذا وُكِد الإنسان مسلماً فلا يبطل إسلامه إذا لم يؤد الصلاة خمس مرات في اليوم : وحتى الذين لا يقيمون الشعائر الدينية يحافظون على العادات الإسلامية الاجتماعية ، وخاصة الزواج والختان والدفن ، مما يساعد على تعزيز ولائهم للجالية الإسلامية .

وكثيراً ما تستهدف الحملات المضادة للإسلام هذه العادات وغيرها . وهدف هذه الحملات واضح تماماً : إضعاف الإسلام كمنافس للإيديولوجية الشيوعية : ومما زاد في الإزعاج للزعماء السوفييت بدء المسلمين بطمس الفوارق بين شخصيتهم القومية الجديدة وشخصيتهم الإسلامية : وعلى هذا فقد أصبح ممكناً سماع أحدهم يقول : « إذا لم أعد مسلماً فلا يمكنني أن أكون أوزبكياً » ، والعكس صحيح كذلك . ولذلك فقد أصبحت محاولات خلق الرجال السوفييت الجدد من المسلمين تمنى بالفشل المزدوج ، إذ ليس من المتوقع أن ترسخ شخصيتهم المسلمة أو شخصيتهم القومية لشخصية ثالثة تتطلب رفض الشخصيتين الآخرين . . .

هنالك أربع إدارات روحية تحت سيطرة الدولة تنظم الشؤون الدينية في المناطق الإسلامية . إهمها في طشقند : وتنظم هذه الإدارات أيضاً العلاقات مع الدول الإسلامية

الأخرى : ويقوم مفتي طشقند بدور ، سفير متجول ، للحكومة السوفييتية ، وتحرص إدارة الشؤون الدينية على إعطاء انطباع يظهر معاملة الحكومة السوفييتية المتطورة للإسلام وانتشار الإسلام داخل الحدود السوفييتية .

وفي السنوات الأخيرة أصبحت الحركات الصوفية السرية تلعب دوراً فعالاً في انتشار الإسلام ، وإزاء هذا فإن السلطات السوفييتية لا تخفي رغبتها في القضاء على هذه الحركات : وهناك مئات المساجد النابضة بالحياة في المدن الكبرى وفي الأرياف ، وحتى في المزارع الجماعية .

القياصرة . . . والبلاشفة . .

عندما تولى السوفييت الحكم وتطلعوا إلى إعادة احتلال المناطق المسلمة في الامبراطورية الروسية البائدة ، تنافس زعماءهم حول ما إذا كان احتلال القياصرة لتلك المناطق أسوأ الامتة على الاستعمار الذي فرض فيه الروس حكمهم وثقافتهم على شعوب لم تقبل بها . وعندما قام السوفييت بإخضاع الشعوب نفسها لسيطرة الدولة السوفييتية الجديدة تغيرت لهجتهم إذ قالوا : إن الحكم السوفييتي افاد ، في الواقع ، الاقليات .

وعلى أساس هذا التبرير الذي لا يزال قائماً حتى يومنا هذا ، فإن ثقافة الاقليات التي يفترض أصلاً أنها دون الثقافة الروسية مستوى وقعت تحت تأثير ، التحضيم ، في المجتمع الروسي . وكان عن طريق هذا التماس مع الروس ومجتمعهم أن استطاعت شعوب أقل تقدماً أن تكشف عن النواحي البربرية في عاداتها وتصرفاتها .

ليس ثمة شك في أن المسلمين السوفييت قبلوا بعض المنافع الاقتصادية التي أتت مع الحكم السوفييتي ، كالتطوير الاقتصادي ، ورفضوا جميع الأشياء الأخرى : ولا يزال الروس يسيطرون على المناطق الإسلامية ، ويتحكمون بها عن طريق تحكمهم بأجهزة الشرطة السرية وقوى الأمن الداخلي ، ووجود قطاعات عسكرية كبيرة في المناطق الإسلامية تحت سيطرة الروس . وبالإضافة إلى ذلك ، هناك مستوطنات روسية داخل المدن الرئيسية في جميع المناطق الإسلامية يعيش فيها الروس منفصلين عن المسلمين الذين يتركزون عادة في أحيائهم القديمة : أما خارج المدن وفي الأرياف والمناطق الجبلية الشاسعة فيندرج وجود الروس .

وينفرد الروس والسلاف بالمراكز السياسية الحساسة التي تقتضي الولاء لوسكو ، وبالمراكز التي تتطلب الخبرة التكنولوجية ، بيد أن

المسلمين لثاروا في السنوات الأخيرة المطالبة بحقوقهم في تبوؤ مراكز قيادية في مناطقهم الخاصة : وقد نجحوا إلى حد ما في إشغال وظائف كانت حكرًا على الروس من قبل : فعل سبيل المثال : تدار الجامعات وأكاديميات العلوم في المناطق الإسلامية من قبل المسلمين ، ومع ازدياد عدد الشبان المسلمين المتخرجين في شؤون التكنولوجيا ستزداد حدة التنافس بينهم وبين المجموعات الروسية المحلية لاحتلال المراكز الحساسة . ويتوقع أن يؤكد المسلمون السوفييت أولوياتهم في مناطقهم بتكرار أكثر وبنجاح أكبر في المستقبل ، طالما أنهم لا يهددون أمن الدولة السوفييتية بأية طريقة واضحة .

ومن جهة أخرى لا يتوقع أن يُعزز المسلمون تقدماً سريعاً في المؤسسات الاتحادية ، كالكليات المسلحة التي تتحارب ضدهم بشكل قوي ، ويخدم المسلمون ، بشكل عام ، كفرق في أعمال الإنشاءات والتحصينات تدعم القوات المقاتلة ؛ وهناك ، بالطبع ، بعض الاستثناءات لهذه القاعدة ، إلا أنه يصعب وجود المسلمين في الخدمات الخاصة ، كسلاحى الطيران والبحرية ، ذلك أن الأثرية الساحقة من الضباط في هذين السلاحين هي من أصل سلافي ؛ وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه قلما يختار المسلمون لخدمة العسكرية لمستقبلهم نظراً لحدة التمييز ضدهم ، وحتى أثناء تأديتهم للخدمة العسكرية الإلزامية فإنهم نادراً ما يتسلمون سلاحاً حقيقياً أو يتلقون تدريباً واقعياً ، الأمر الذي يفسر ، جزئياً ، التراجعات السوفييتية الأولى في هجوميهم على أفغانستان في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ م .

وإثناء الغزو السوفييتي لأفغانستان كانت القوات السوفييتية تضم عدداً لا بأس به من المسلمين ، إلا أن أكثرهم المسلحة كانت من قوات الاحتياط التي استدعت لهذه الحرب ؛ وتبين ، فيما بعد ، أن قوات الاحتياط هذه لم تتلق التدريب اللازم أثناء تأديتها للخدمة العسكرية الإلزامية .

ويعني هذا الأمر ، في جملة أمور أخرى ، أن الزعماء السوفييت لم يتوقعوا مقاومة أفغانية عنيفة ، وعند مواجهتهم لهذه المقاومة لم يُحسن المسلمون السوفييت القتال . وزيادة على الإطلاق ، فإنه لا يبدو واضحاً الآن أنهم قاموا بحاربة إخوانهم المسلمين في أفغانستان ، بل على العكس حاولوا معرفة المزيد عن العالم الإسلامي الأكبر بتأخييم مع السكان المحليين في أفغانستان ؛ وفي غضون ستة أسابيع تم سحب المسلمين السوفييت من منطقة القتال ، واستبدلوا بقوات روسية يمكن الاعتماد عليها .

كان إرسال المسلمين إلى أفغانستان خضاً كبيراً في تقدير الزعماء السوفييت ، فهو لم يؤد فقط إلى تقوية تعرض المسلمين للعالم الإسلامي في الخارج مع كل ما يترتب على ذلك من مضاعفات لبناء ، الرجال السوفييت لجدد ، بل إن النتيجة وضعت أيضاً علامة استفهام على إمكانية الاعتماد على الفرق المسلمة في عمليات مستقبلية في مناطق متاخمة لحدود الاتحاد السوفييتي .

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المسلمين السوفييت هم أكثر وعياً بكونهم جزءاً من العالم الإسلامي أكبر من أي وقت منذ القضاء على نخبة المسلمة في أواخر العشرينيات ومطلع ثلاثينيات ؛ وشمه عوامل كثيرة تبرز هذا الوعي ، وأكثر هذه العوامل وضوحاً : اليقظة الإسلامية في البلاد المجاورة التي أحدثت وقعاً هاماً في نفوس مسلمي الأراضي السوفييتية المتاخمة ؛ وحرب أفغانستان التي أوجدت مجموعة كبيرة من المسلمين السوفييت في الجيش وفي الكوادر الأخرى الذين تسنى لهم الاتصال بإخوانهم المسلمين وأقاربهم العرقيين في الخارج في السنوات القليلة الماضية ، والذين عادوا إلى وطنهم ليخبروا قصتهم .

كذلك تساعد الإذاعات الأجنبية التي تتحدث عن هذين الحدثين بالتفصيل ، على ربط المسلمين السوفييت بإخوانهم في الخارج . (وكذلك الطلاب المسلمون الأجانب الذين يذهبون إلى الاتحاد السوفييتي لتلقي العلم) وتوفير سبل متواصل من المعلومات .

وبالإضافة إلى ذلك يبدو أن دولاً إسلامية رئيسية في الشرق الأوسط قد بدأت تولي اهتماماً ملحوظاً لمسلمي الاتحاد السوفييتي ، وإذا ما استخدمت هذه الدول معرفتها الجديدة بأوضاع هؤلاء المسلمين في علاقاتها الثنائية مع الاتحاد السوفييتي فإن الزعماء السوفييت قد يجدون أنفسهم تحت ضغط حقيقي لإحداث بعض التغييرات في سياستهم تجاه المناطق الإسلامية .

وستزيد التغييرات السياسية الحديثة في الصين الشعبية من هذا الضغط ، ومن الواضح الآن أن الصينيين الذين يشتركون مع الاتحاد السوفييتي في أكثر من ألف ميل من الحدود في آسيا الوسطى المسلمة يحاولون الظهور وكأنهم قوة إسلامية كبرى في المنطقة وبالتالي في العالم

وباتباع الصين لخط جديد يضمن منافع عديدة لسياستهم الإسلامية بالمقارنة مع سياسة الاتحاد السوفييتي ، فإنها بذلك تضمن أن المناقشة (القائمة منذ زمن بعيد والحساسة من الناحية الاستراتيجية) في آسيا الوسطى على

ولاء المسلمين على جانبي الحدود ستزداد حدة .

وستزداد سيطرة هذا المزيج من الوعي الإسلامي والوعي القومي الحديث على وعي المسلمين السوفييت الذاتي والجماعي ؛ ويبدو هذا الأمر نتيجة حتمية لتأثير الأحداث في العالم الإسلامي الخارجي عليهم ، وتأثير النمو السكاني السريع عندهم وما يتبع ذلك من منافسة أكيدة بينهم وبين الروس المهاجرين الذين يعيشون بينهم للحصول على وظائف ومراكز القوة والقيادة الاجتماعية ، وهو أيضاً نتيجة التأثيرات المتناقضة للمؤسسات الاتحادية ، كالكليات المسلحة التي تهدف ، في الأصل ، إلى التكمال العرقي ، وإلى بعث الإنسان السوفييتي الجديد ، بينما هي في الواقع ، تُثمي التصرفات المعادية للروس والسوفييت بين المسلمين الذين يجدون أنفسهم ضحية لكثير من التمييز الاجتماعي والتقاليد العرقي ، في أوجه الحياة المختلفة

لقد تكلفت محاولات السوفييت للتحكم بالمسلمين ولعزلهم عن العالم الإسلامي في الخارج بالنجاح التام ، إلا أن العالم تغير كثيراً في السنوات الأخيرة ، ومن غير المتوقع أن يستمر النجاح لفترة طويلة ، وتتلاشى المؤشرات التي تدل على استيعاب الروس للمسلمين السوفييت في نظامهم السياسي والثقافي بسرعة ، وقد يصبح هؤلاء المسلمون شيوعيين متنازعين عن طريق بناء الإسلام والوطنية والماركسية إلا أنهم لن يصبحوا أولئك الرجال السوفييت الجدد ، طالما أن التعبير يخضع للطابع الروسي القوي ، ومن الحماقة أن يتصور المرء أن المسلمين السوفييت يرغبون في أقل من الاستقلال التام عن موسكو حتى وهم يفتقدون إلى حركة احتجاج وطنية كالتى نجدها في دول البلطيق ، وفي جورجيا على سبيل المثال ؛ فهذه رغبة غير واقعية في الوقت الحاضر ، إلا أنها ممكنة مع ابتداء القوى الطبيعية [النمو السكاني] التي سبق ذكرها في إحداهن تأثيراتها .

ومع ذلك ، يمكن أن يكتفي المسلمون السوفييت ، في الوقت الحاضر بمعرفتهم أن مجتمعهم متحرك بينما يبقى المجتمع الروسي ساكناً ؛ ومن الصعوبة يمكن أن يتكهن المرء بالنقطة التي سيخضعها الروس لاحتواء هذا التحرك .

ومع ازدياد وعي المسلمين السوفييت بأنهم ورة تقاليد إسلامية مجيدة ، وأنهم شعوب قوية وحيوية يفذيها الإسلام بجذوره ، وتدعها حضارة عالية ، فإن المهمة تزداد صعبة ، وهذا ما يحدث الآن ، وليس ثمة شك في أن نتائج هذا التطور ستذهب إلى حد بعيد في تقرير مستقبل الدولة السوفييتية ...